قصص أردنية تروي خسارات العرب المعاصرين

«فاكهة الرجل الأخيرة» مختارات قصصية لإلياس فركوح

يمكن للأدب استعادة ما ضاع منا والتأسيس لما نحلم به، الأمر ليس خدعة ولا هو سحر أو وهم، إنه حقيقة كاملة، حيث ببساطة يستخرج الأدب الأفكار بسلاسة من داخل الشخصيات والأحداث وكل ما يتناوله، ويقدمها للقارئ الذي يمكنه أن يضيء من خلالها طريقه. هذا الأدب هو ما حاول التأسيس له الكاتب الأردني الراحل إلياس فركوح.

الكتابة تعالج تصدعات الأحلام (لوحة للفنان يحيى زكي محمد)

عواد علي
كاتب عراقي

على مدى عقود ظل الكاتب الأردني الراحل إلياس فركوح واحدا من أبرز القصاصين والروائيين في الأردن. وبالرغم من أنه بدأ بكتابة القصة القصيرة أواخر ستينات القرن الماضي، فإن تجربته نضجت في الثمانينات، وبدا خلالها كأنما يولد قاصًا جديدا، حسبما يروي، قاصا بات يرى في التفصيل الواحد حياة غير محدودة، ومن ثم لا يعوّل على لحظة بعينها يعتقد أنها تُظهر حقيقة الشيء أو يقينه.

> جميع أعمال الكاتب القصصية والروائية بشكل عام تقوم على بناء مركب متداخل تتقاطع فيه الحكايات والمصائر

وقد خلص إلى أن التفصيل يتضمن تحولات هي حياة بذاتها، بينما كانت الحياة، من قبل، لا تكتمل لديه إلاّ بحشد كمّ كبير من التفاصيل. وتلازم هذا التحول مع إحساسه الجديد باللغة، إذ صار لها وقعها التناغمي، ليس شعرا، لكنه قريب من الشعر في شفافيته المخاتلة.

مرآة السرد

في نوع من التكريم لإلياس فركوح أصدرت حديثا منشورات العائدون للنشر والتوزيع في عمان، ضمن سلسلة مختارات العائدون الإبداعية، مختارات من قصصه بعنوان "إلياس فركوح فاكهة الرجل الأخيرة"، كتب لها الناقد فخري صالح مقدمة بعنوان "إلياس فركوح راوي خسارات العرب المعاصرين".

يقول صالح إن فركوح "واحد من المجدّدين في القصة والرواية العربيتين في العقود الأربعة الماضية، وعكف، على مدار مجموعاته القصصية السبع، على تطوير تجربته والغوص داخل شخصياته القصصية، محاولا التعرف على الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تتحرك ضمنه هذه الشخصيات. وهو ما يمنح الكتابة السردية لديه القدرة على وصف الأعماق، وتأمل الصراع الداخلي للشخصيات، بالانتقال من الوصف الخارجي للعالم إلى الغور عميقا في ما يعتمل في وعي شخصياته ولاوعيها أيضا".

ويبيّن صالح أن فركوح استخدم قدرته في الحفر داخل الشخصيات، وتقليب مشاعرها نحو ما يدور خارجها من أحداث وصراعات، وما يعبر في ذهنها من ذكريات، لكي يلقي ضوءا كاشفا على التصدعات التي أصابت الحلم بدولة عربية قومية ديمقراطية، عبر هزائم وخسارات متوالية تركت علامات غائرة في كتابة جيله من المبدعين والمثقفين العرب.

ويذهب صالح إلى أن رغبة فركوح لفهم ما حدث، منذ ولادته في عام النكبة الفلسطينية (1948)، هي التي دفعته إلى تفحّص الكوارث المتوالية، التي تبعت ضياع فلسطين، عبر مرآة السرد، القصصي، ثم الروائي، وكذلك المقالة الأدبية ذات البعد التأملي الفلسفي، إضافة إلى الترجمة.

ويوضح الناقد أن إلياس فركوح، رغم العدد القليل من المجموعات القصصية والروايات التي أصدرها، استطاع أن يكون من أهم كتاب القصة والرواية في الأردن والعالم العربي منذ تسعينات القرن الماضي، ومن ممثلي كتابة الأعماق في السرد العربي الراهن، كما هو الحال لدى كل من الكتّاب إدوار الخراط، محمد البساطي، محمد خضير، غالب هلسا، محمد عزالدين التازي، حيدر حيدر، وآخرين.

مبدع ملم بالتفاصيل

يرى صالح أن مجموعة فركوح "طيور عمان تحلق منخفضة"، الصادرة عام 1981، يمكن القول إنها تستحق أن يُطلق عليها صفة الأولى على صعيد النضج الفني، ففيها يسعى القاص إلى تصوير أحلام شخصياته البسيطة وآمالها، معتمدا أسلوب التداعي، الذي يكثر من استخدامه في قصصه، راصدا نبض الشخصية الداخلي وتفاصيل حياتها الصغيرة.

ويضيف صالح "رغم أن هناك تواصلا في شكل الكتابة القصصية لدى الكاتب، عبر الاهتمام بشخصيات تنتمي إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا، والتركيز على المهمّشين من البشر، فإننا نلحظ في الوقت نفسه تحولا في كتابة فركوح، حيث يلجأ إلى تطعيم نصوصه بلغة الشعر وأفقه الدلالي".

كما أن فركوح "يبرع في استخدام التفاصيل وقيامه برسم انعكاس المشهد الخارجي على العالم الداخلي للشخصيات، وكذلك تفضيله الدائم لأسلوب التداعي والحوار الداخلي الذي ينقل إلى القارئ ما تفكر به الشخصيات".

ويخلص الناقد إلى أن جميع أعمال فركوح القصصية والروائية بشكل عام تقوم على بناء مركب متداخل تتقاطع فيه الحكايات والمصائر، كما يتشكل المعنى الضمني للنص من هذا التقاطع المحكم للمصائر والحكايات.

وكتب مدير الدار ومحرر منشوراتها الشاعر عمر شبانة كلمة على غلاف الكتاب أشار فيها إلى أن هذه المختارات لكاتب صاحب قامة إبداعية رفيعة، قصصية وروائية، لها حضورها الأدبي والثقافي، محليا وعربيا، قامة تستحق التقدير.

وأضاف "نحن هنا نحتفل بصاحب هذه التجربة ومسارها الإبداعي، ونفخر بتقديمه ضمن هذه المختارات القصصية للتعريف بمحطات وتحولات في نتاج هذا المبدع، من مجمل مجموعاته القصصية، نستطيع من خلالها النظر في عوالمه ومناخاته، ونُطل على عالم الطفولة، عالم الرجل والمرأة في أحوال الحب، جسديا وروحانيا، وعلى أسئلة الواقع والوجود والفلسفة التي جاء منها دارسا".

يذكر أن إلياس فركوح روائي ومترجم وكاتب مقالات أيضا، توفي في 15 يوليو الماضي عن عمر ناهز 72 عاما، وصدرت له في مجال القصة القصيرة 7 مجموعات منها "الصفعة"، "طيور عمان تحلّق منخفضة"، "إحدى وعشرون طلقة للنبي"، "من يحرث البحر"، "أسرار ساعة الرمل" و"حقول الظلال". وفي مجال الرواية "قامات الزبد"، "أعمدة الغبار"، "أرض اليمبوس" (وصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة "البوكر" في دورتها الأولى عام 2008).

وفي مجال الدراسة والمقالة قدم الكاتب 6 مؤلفات نذكر منها "ميراث الأخير"، "بيان الوعي المستريب: من جدل السياسي - الثقافي"، "الكتابة عند التخوم: الذات الراوية هي الرواية"، "النهر ليس هو النهر: عبور في أسئلة الكتابة والرواية والشعر".

ولفركوح أيضا إسهامات بارزة في مجال الترجمة، حيث قدم للمكتبة العربية 7 كتب منها قصص "آدم ذات ظهيرة"، "نيران أخرى"، "القبلة"، رواية "الغرينغو العجوز" و"جدل العقل: من حوارات آخر القرن" (بالاشتراك مع حنان شرايحة)، وحصل على جائزة أفضل مجموعة قصصية من رابطة الكتاب الأردنيين عام 1982 عن مجموعته "إحدى وعشرون طلقة للنبي"، وجائزة الدولة التشجيعية عام 1990 عن روايته "قامات الزبد"، وجائزة الدولة التقديرية عام 1997 في حقل القصة القصيرة.

الجاحظ أقرب إلى الكاتش منه إلى الملاكمة

ميلانو (إيطاليا) – استهل الناقد والكاتب المغربي عبدالسلام بنعبدالعالي كتابه «الكتابة بالقفز والوثب» بمقولة تضع القارئ في محلّ تساؤل عن طبيعة هذه الكتابة "لا يمكننا التفكير في المتعدد من غير إقامة جسور بين الاختلافات، من غير أن نؤكد الاختلافات في علائقها المتبادلة».

وفي مقدمة الكتاب، يمضي بنعبدالعالي في تفكيك عبارة العنوان التي هي اقتباس عن عبدالفتاح كيليطو، الذي اقتبسها بدوره عن مونتيني، وذكره ضمن محاضرة تحدث فيها عن مساره وطريقته في الكتابة.

ويشير إلى أن رولان بارت يربط الكتابة المتقطعة بأمرين اثنين: الموسيقى، وموسيقى فيبرن على الخصوص، ثم رياضة الكاتش. حيث يقرب بارت التكثيف في الكتابة المتقطعة من التكثيف الموسيقي، ليبيّن أن الكتابة المتقطعة تضبطها موسيقى مغايرة، وأن كثافتها أقرب إلى التكثيف الموسيقي الذي يضع النغمة محل "الاسترسال". فيومئ إلى وجهة، كما يتجلى هذا في المقطوعات الموجزة لفيبرن: غياب للإيقاع، جلال ومهارة في سرعة التخلص.

هذا عن علاقة الكتابة المتقطعة بالموسيقى، فما علاقتها برياضة الكاتش؟ نعلم أن صاحب أسطوريات كان قد سبق له أن عقد مقارنة مطولة بين مباراة الكاتش ومباراة الملاكمة، فاستنتج أن الأخيرة عبارة عن حكاية تبنى تحت مراقبة أعين المشاهد. أما في الكاتش، فالمعنى يستمد من اللحظة، وليس من الدوام والاستمرار. المشاهد هنا لا يشغل باله بعملية تكوّن ونشأة، وإنما يترقب الصورة اللحظية لتجلي بعض الانفعالات.

يستدعي الكاتش، إذن، قراءة فورية لمعان تتراكم دونما حاجة لربطها في ما بينها، فلا يهم المشاهد هنا مآل المعركة. أما مباراة الملاكمة، فهي تستدعي معرفة بالمآل وتبيّنا للغايات، وتنبؤا بالمستقبل. بعبارة أخرى، فإن الكاتش حصيلة مشاهد لا يشكل أي منها دالة، تتوقف على غيرها من المتغيرات: فكل لحظة تتطلب إحاطة كلية وانفعالا ينبثق في انعزاله من غير أن يمتد، ليتوج مآلا بأكمله. "في الكاتش تدرك اللحظة، وليس الديمومة".. إنه مشهد مبني على الانفصال والتقطع. وتقطعه، و"عدم انسجامه يحل محل النظام الذي يشوه الأشكال".

مباراة الملاكمة حكاية تروي حركة موصولة، تصدر عن أصل، لتمتد في الزمان، كي تسير نحو غاية، أما مباراة الكاتش، فإن دلالاتها تقف عند اللحظي الذي لا يتخذ معناه من غاية الحركة ومسعاها، ولا تتوقف دلالته على كلية خارجية. لا يعني هذا مطلقا أن الأمر يقتصر على المقابلة بين الزماني واللحظي، بين الحركة والتوقف، بين التاريخ ونفيه، بقدر ما يعني تمييزا بين تاريخ وتاريخ: فـ"تاريخ" مباراة الملاكمة تاريخ توليدي تكويني، لا يدرك المشاهد معناه إلا إنْ هو بنى حكاية تربط الأصل بالغاية، كي ترى في اللحظة، ليس معنى في ذاته، بل حلقة في سلسلة مترابطة، يتوالد فيها المعنى، ولا يكتمل إلا عند معرفة المآل.

لذا يعلق بارت "في الملاكمة تقع المراهنة على نتيجة المعركة". أي أن الأمور تكون في الملاكمة بخواتمها، أما في الكاتش، "فلا معنى للمراهنة على النتيجة" لسبب أساس، وهو أن المعنى لا يمثل في حركة الأصل، ولا ينتظر المآل، وإنما يتجسد في غنى اللحظة.

يقول بنعبد العالي "لم أتوقف طويلا عند هذه المقارنة، كي أستنتج أن الجاحظ أقرب إلى الكاتش منه إلى الملاكمة، وإنما لأتبيّن معكم أنه لا يكفينا تحديد طبيعة الكتابة 'بالقفز والوثب' بردها إلى حالة نفسية، وتفسيرها بملل القارئ أو حتى ملل الكاتب، لا يكفينا التأويل السيكولوجي، وإنما لا بد من التأويل الشعري الذي يمكننا من أن نذهب حتى القول إنه ملل الكتابة ذاتها".

ولا تستهدف الكتابة "بالقفز والوثب"، إذن، خلاصة خطاب، و"زبدة" فكر، وعلى الرغم من ذلك، فهي ليست نظرة "خاطفة"، ولا هي توقف وعدم حراك. إنها "حاضر" متحرك، حتى لا نقول هاربا. فهي تومئ إلى وجهة، من غير أن تدل على طريق. ونذكر أن كتاب "الكتابة بالقفز والوثب" لعبدالسلام بنعبد العالي صدر هذه الأيام عن منشورات المتوسط – إيطاليا.

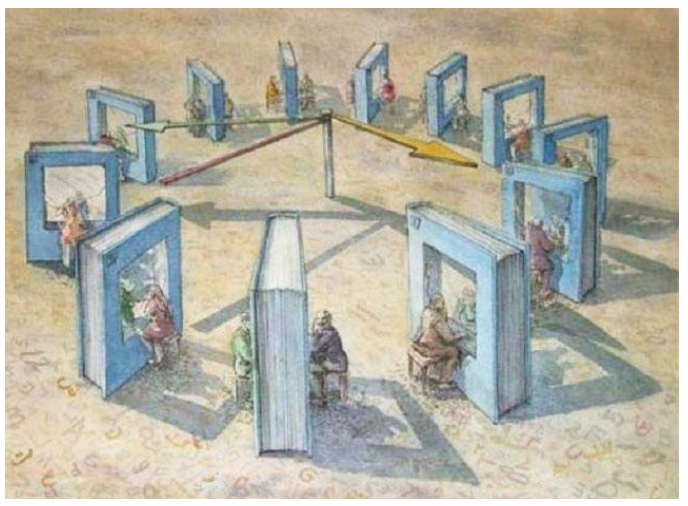

الكتابة ابنة اللحظة (لوحة للفنان علي رضا درويش)

«كسماء أخيرة» محاولة لإنقاذ الإنسان من نفسه

عمان – أصدر الشاعر الكُردي السوري عماد الدين موسى الطبعة الثانية لديوانه "كسماء أخيرة"، عن دار "خطوط وظلال" للنشر في الأردن.

الديوان الذي يقع في 120 صفحة، حاز على إعجاب العديد من المبدعين والنقاد، حيث وصفه الكاتب السوري صالح الرزوق، بأنه "رهان على تجاوز الماضي، وعلى المعنى الشعري لحساسية القصيدة الجديدة. فالعنوان لا يكتفي بتشبيه المحاولة بسماء، وإنما يزاوج ذلك مع معنى ختام أو نهاية ويصفها بأنها أخيرة".

ويعد الديوان تعبيرا عن صوت منفرد يهتم بمعاناته، وهي (المعاناة) ليست من النوع الواقعي الذي يحاكي الحياة، فالمشاهدات البصرية غائبة، والتحقيب غير موجود، وكل هذه المعاني تكتفي بإشارات عامة.

وكان الشاعر قد أصدر من قبل "طائر القصيدة يرفرف في دمي"، و"حياتي زورق مثقوب"، و"تعطر بقليل من البارود".

ويقول الشاعر "كلّ طائر لا غصن له/ كل غصن لا شجرة لها/ كل شجرة لا غابة لها/ كل غابة لا شمس لها/ كل شمس لا سماء لها/ كل سماء لا ناظر إليها/ كل ناظر لا عين له/ فلينظر/ فلينظر بقلبه".

> قصائد المجموعة تمثل رهانا على تجاوز الماضي وعلى المعنى الشعري لحساسية القصيدة الجديدة بعوالمها المختلفة

إذن هي دعوة إلى التمسك بآخر ما يبقى للإنسان ألا وهو قلبه بعد أن أفقدت لام النفي الكثير من الموجودات كنهها، لام النفي متمثلة في الكثير من العوامل سواء كان الزمن أو أفعال الإنسان نفسها من تدمير للبيئة وحروب وقتل.

إنها دعوة إلى الإنسان ليعود إلى مسكنه الأول قلبه، وعلى هذا النهج سارت أغلب قصائد الكتاب في محاولة أخيرة لاستعادة ما ضاع.

وجاء الكتاب في 120 صفحة من القطع المتوسط، والغلاف من تنفيذ المصمم بسام حمدان والرؤية البصرية للفنان والشاعر الأردني محمد العامري.